أَثر الصوت في رسم الكلمة

نظرة تعليلية في ضوء رسم المصحف

أ.د.عبد الوهاب محمود الكحلة *

تأريخ التقديم: ٢٠٠١/٦/١ **تأريخ القبول:** ٢٠٠١/٧/١

نظرة علماء اللغة طويلاً في خط المصحف المتبع يقارنون بينه وبين الخط القياسي المخترع، ولم يألوا جهدا في تتبع كل ظاهرة فيه يعللون رسمها لا للدفاع عنه فحسب وإنما للاطمئنان إلى القواعد التي بني عليها في خطه .

وقد تلمست بعض الظواهر وأثرها على رسم الكلمة، منها ظاهرة زيادة حروف العلة، وظاهرة حذفها، وظواهر أخرى غيرها، ولعل أخفاها ظاهرة اثر الصوت حسب رسم الكلمة في سياقها وما يكتنفها من سوابق ولواحق والمراد بـ (رسم الكلمة) تصويرها برسم حروف هجائها لتدل على الكلام كدلالة اللسان على ما في الجنان(١).

والأصل أن تدل الكلمة على معناها بحروفها المنطوقة من غير نقص ولا زيادة، وهذا هو الضابط في الخط القياسي المخترع، إلا أن خط المصحف قد قيدت كلماته في رسمها بقيود خارجة عن الخط القياسي، ولاسيما في حروف العالة إما بزيادتها أو بحذفها؛ وذلك بحسب ما يكتنف الكلمة من أصوات أو لتحقيق معان مقصودة في شكلها وهذه بعض تعليلات تلكم الظواهر من رسم كلمات المصحف، مما هي على غير الخط القياسي .

---

* قسم الشريعة / كلية العلوم الإسلامية/ جامعة الموصل .

(١) المطالع النصرية في الأصول الخطية، نصر الهوريني، المطبعة الأولى، مصر ١٣٠٤هـ ، ص٤ .

ظاهرة الزيادة

نظر العلماء في هذه الظاهرة وتدبروها وحاولوا تفسيرها وكان من تعليلاتهم:

١. (مراعاة التناسق بين أصوات الفواصل) كزيادة الألف وقفاً على الكلمات المعرفة باللام مثل (الظنونا) في قوله تعالى: ﴿**وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ**﴾ (١) ومثل (الرسولا) وقوله تعالى ﴿**يَقُولُونَ يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ**﴾ (٢) ومثل (السبيلا) في قوله تعالى ﴿**وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ**﴾(٣).

فسورة الأحزاب فواصلها ألفات منقلبة عن التنوين في الوقت؛ لأنها نكرة بسبب الوقف، والفواصل في النثر كالأسجاع في النظم، فجاءت الكلمات (الظنون، والرسول، والسبيل) فواصل وهي معرفة فاقتضى زيادة الألف عليها لتحقيق التناسق مع فواصل السورة .

٢. لتأكيد الحركات قبلها فمثال زيادة الألف ﴿ **لَأَذْبَحَنَّهُ**﴾ (٤)، و مثال زيادة الياء ﴿**وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى**﴾ (٥)، ومثال زيادة الواو ﴿ **أُوْلَئِكَ**﴾ (٦).

٣. وقد يزاد حرف العلة لإزالة ما يشعر بالوهم في المعنى، فـ (الأيد) ومعناه القوة قد يلتبس بجمع (اليد) وهي الجارحة، كما في قوله تعالى ﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾(٧) فالتنوين فيها للتنكير، ولئلا تلتبس بتنوين العوض كما في (أيد) جميع (يد) ، زيدت معها ياء، وقد وردت بهذا المعنى كذلك في قوله تعالى

---

(١) الآية ١٠ سورة الأحزاب .

(٢) الآية ٦٦ سورة الأحزاب .

(٣) الآية ٦٧ سورة الأحزاب .

(٤) الآية ٢١ سورة النمل .

(٥) الآية ٩٠ سورة النحل .

(٦) الآية ٥ سورة البقرة .

(٧) الآية ٤٧ سورة الذاريات .

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾(١)، أي: ذا القوة، ولو أراد جمع (يد) لأثبت الياء بعد الدال كما أثبتها في قوله: ﴿ **أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ**﴾ (٢) والأيدي وهي الجوارح مجاز عن الكلام .

ظاهرة الحذف:

أَمَّا ظاهرة الحذف فكان للعلماء في تفسيرها نظر أَدق، وفكر أعمق ، ومن تلك التفسيرات .

١.(مراعاة الفواصل) وهذا أَقرب تعليل للحذف، فمن أمثلة الياء المحذوفة المتطرفة ياء المتكلم، فهي تحذف حيثما وقعت في الفاصلة، كقوله تعالى: ﴿ **وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿ **أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ** ﴾ (٤) ، وكذلك تحذف الياء من الكلمات المنقوصة كقوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ التَّنَادِ** ﴾(٥) ، وقوله تعالى: ﴿**الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ** ﴾(٦) .

٢. ومن تفسيرات الحذف (التحاشي من اجتماع الساكنين)، فمثال حذف الياء قوله تعالى: ﴿ **إِلا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ**﴾(٧)، والقياس (صالي الجحيم)، ومثال حذف الواو قوله تعالى: ﴿**سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ** ﴾(٨)، والقياس (سندعو)، ومن تحاشي التقاء الساكنين حذف الواو في قوله تعالى: ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ**

---

(١) الآية ١٧ سورة ص .

(٢) الآية ٤٥ سورة ص .

(٣) الآية ٩٢ سورة الأنبياء .

(٤) الآية ٤٥ سورة يوسف .

(٥) الآية ٣٢ سورة غافر .

(٦) الآية ٩ سورة الرعد .

(٧) الآية ١٦٣ سورة الصافات .

(٨) الآية ١٨ سورة العلق .

الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١) إذ رسموا **(صالح)** بصورة الإفراد، وإنّما المراد **(وصالحو المؤمنين)**؛ ولعل هذه الكلمة من دقائق ما وقفنا عليه في هذا البحث .

٣. ومن وجوه تعليل الحذف ما تقتضيه المسارعة في الأمر، فحذفت الواو من قوله تعالى: ﴿ **وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ** ﴾(٢) للإشارة إلى سرعة الذهاب واضمحلاله ، ويمكن تفسيره كذلك على التحاشي من التقاء الساكنين، وقوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ**﴾(٣) حذفت الواو من **(يدعو)** تجنباً من التقاء الساكنين ، وحذفت الياء من **(الداعي)** للإشارة إلى سرعة الدعاء وسرعة إجابة الداعي .

٤. ومن دقائق تفسير الحذف مراعاة السرعة في ختم الكلام والانتهاء منه، ففي حكاية قول سيدنا موسى ﴿ عليه السلام ﴾ لفتاه ﴿ **قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا** ﴾ (٤) حذفوا الياء من نبغ لبيان سرعة ارتدادهما إلى ما فاتهما ، وهذه الحال تختلف عن حال أخوة يوسف ﴿ عليه السلام ﴾ في قوله تعالى ﴿ **قَالُوا يَاأَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا**﴾ (٥) إذ ثبتت الياء في **(نبغي)** ليبقى الصوت ظاهراً وهو يناسب اطمئنانهم في حديثهم مع أبيهم، إذ لم يكونوا يبغون الانصراف مما هم فيه (٦)، ويحمل على هذا التعليل حذف التاء من قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا** ﴾ (٧)، فالرجل الصالح هنا أراد العجلة وسرعة الافتراق عن مصاحبه موسى ﴿ عليه السلام ﴾ إذ لم يجد معه الصبر على ما رأى، وقد

---

(١) الآية ٤ سورة التحريم .

(٢) الآية ٣٥ سورة الشورى .

(٣) الآية ٦ سورة القمر .

(٤) الآية ٦٤ سورة الكهف .

(٥) الآية ٦٥ سورة يوسف .

(٦) ينظر : البرهان في علوم القران ، للزركشي ، ج١ ، ص ٣٩٧ .

(٧) الآية ٨٢ سورة الكهف .

أثبتها على الأصل قبل ذلك في قوله: (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) (١) إِذ كان يحدثه وهما مصطحبان معاً .

٥. ومن تفسيرات الحذف أَن تكون الكلمة في مقام أَمر معنوي، أَمَّا إِن كانت في أَمر حسي مشاهد فإِنَّ الحرف يثبت على أَصله، ومن الأَمثلة للمقارنة بين الحذف والإِثبات قوله ﴿ **فَلا تَسْأَلْنِ**﴾ في سورة هود، و﴿ **فَلا تَسْأَلْنِي**﴾ في سورة الكهف ، وقوله تعالى ﴿ **لَئِنْ أَخَّرْتَنِ** ﴾ في سورة الإِسراء و﴿ **لَوْلا أَخَّرْتَنِي**﴾ في سورة المنافقون وقوله تعالى ﴿ **أَنْ يَهْدِيَنِ**﴾ في سورة الكهف و﴿ **أَنْ يَهْدِيَنِي**﴾ في سورة القصص .

فممَّا ورد في الأَمر المعنوي الغيبي قوله تعالى مخاطباً نوحاً ﴿ ﵇ ﴾ ﴿**فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**﴾ (٢) فالسؤال ههنا عن غيب ملكوتي وهو طلب المغفرة لابنه فلذلك حذفت الياء من (تسألني) وثبتت في قول الخضر مخاطباً سيدنا موسى ﴿ ﵇ ﴾ ﴿**فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا**﴾ (٣) فالسؤال ههنا إِنَّما هو عن حوادث وأَشياء حسية واقعية كخرق السفينة، وقتل الغلام، وإِقامة الجدار .

ومن الأُمور المعنوية قوله تعالى: ﴿ **لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ** ﴾ (٤) فطلب التأخير ههنا بالمؤاخذة بالعقوبة، وهو أَمر معنوي غيبي ، ولذلك حذفت الياء من (أخرتن) وثبتت في قوله تعالى ﴿ **لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ**﴾ (٥)؛ لأن التأخير في أَمر جسماني حسي .

---

(١) الآية ٧٨ سورة الكهف .

(٢) الآية ٤٦ سورة هود .

(٣) الآية ٧٠ سورة الكهف .

(٤) الآية ٦٢ سورة الإسراء .

(٥) الآية ١٠ سورة المنافقين .

وحذفت الياء في قوله ﴿ **عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا**﴾(١) لان المراد بالهداية الأمر الغيبي وهو معنوي و ثبتت في قول موسى ﴿ عليه السلام ﴾ ﴿ **عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾(٢) فموسى ﴿ عليه السلام ﴾ كان يستهدي ربه السبيل للوصول إلى بلد امن ، وهو أمر حسي وقد هداه الله إلى قرية **(مدين)** (٣).

اثر الصوت في اختيار صورة الكلمة

وقد تجر العلاقة الصوتية التي تكتنف الكلمة إلى إتباع صورة من الكلمة دون غيرها مما هو جائز فيها كاجتناب توالي حركتين متشابهتين ، فمن ذلك **(مطلع)** حيث وردت في لسان العرب بكسر اللام وفتحها . ولكن قد تحددت إحدى الصورتين منها في المصحف بحسب حركة العين منها ، فان جاءت منصوبة تكسر اللام كما في قوله تعالى ﴿ **حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ**﴾(٤) لئلا تتوالى عليها فتحتان .

وان جاءت مجرورة تفتح اللام كما في قوله تعالى ﴿ **سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**﴾(٥) فاختير فتح اللام لئلا تتوالى عليها كسرتان ، فاختيار إحدى اللغتين **(مطلع – مطلع)** إنما هو بحسب البيئة الصوتية وهذا من دقائق التفسير لهذه الظاهرة .

ومن تأثير الصوت اختيار حركة في الكلمة يكون لها تأثيرها لتحقيق معنى مقصود حسب المقام ، كقوله تعالى ﴿ **وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ (٦) اختير ضم الهاء من **(عليه)** والقياس كسرها لسكون

---

(١) الآية ٢٤ سورة الكهف .

(٢) الآية ٢٢ سورة القصص .

(٣) ينظر البرهان في علوم القران ، للزركشي ، ج١، ٣٩٧ .

(٤) الآية ٩٠ سورة الكهف .

(٥) الآية ٥ سورة القدر .

(٦) الآية ١٠ سورة الفتح .

ما قبلها ، وإنما ضمت للتوصل إلى تفخيم لفظ الجلالة بعدها لينسجم مع ما يقتضيه مقام الأمر بالوفاء بالعهد في بيعة الرضوان إما تحقيق النصر أو الشهادة

اثر التكرار في صورة الكلمة:

ومن التعليل في اختيار رسم الكلمة إبعادهم ما استطاعوا صورة التكرار في الكلمتين المتجاورتين كقوله تعالى ﴿ **وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا**﴾ (١) فالقياس إثبات الألف في (عتوا) بعد واو الفاعل، وقد ثبتت في قوله تعالى ﴿ **وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ**﴾ (٢) وههنا أرادوا الابتعاد عن صورة التكرار فاختاروا حذف الألف من الفعل (عتوا) لأنها لا صوت لها بخلاف الثانية وهي مصدر؛ لأنها دالة على تنوين النصب وكذلك فعلوا في الكلمة الواحدة إذا تشابه مقطعاها نحو قوله تعالى ﴿ **سَلاسِلا**﴾(٣) فلم يحذفوا الألفين إبعادا عن الإجحاف في الحذف ، فاكتفوا بحذف ألف واحدة، فمن حذف الألف الأولى اثبت الثانية فكتبها (سلسلا) ومن حذف الثانية اثبت الأولى فكتبها (سلاسل) ولا تجد رسما أثبت الألفين معا أو حذفهما معاً .

اثر الوقف في صورة الكلمة:

وقد تحدد صورة الكلمة بضابط من ضوابط اللغة كالوقف والابتداء فتاء التأنيث في المفردة ترسم مربوطة حيثما وردت نكرة كقوله ﴿ **إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ**﴾ (٤) وقوله تعالى ﴿ **وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا** ﴾(٥) وهذا هو القياس .

---

(١) الآية ٢١ سورة الفرقان .

(٢) الآية ٧٧ سورة الأعراف .

(٣) الآية ٣٥ سورة الإنسان .

(٤) الآية ٢٣ سورة النمل .

(٥) الآية ٢٨ سورة النساء .

أما إذا وردت مضافة فإنها ترسم بالتاء المفتوحة ، كقوله تعالى ﴿ **امْرَأَةُ عِمْرَانَ**﴾ (١) وقوله تعالى ﴿ **امْرَأَةُ الْعَزِيزِ**﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿ **امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ**﴾ (٣)، وإنما كتبت مفتوحة مراعاة للالتزام بوصلها بما بعدها لأنه يقبح الوقف على المضاف دون المضاف إليه.

وأخيرا، فمهما يبحث العلماء في القران العظيم يتدبرونه ويرجعون فيه النظر ، فان هناك من أسراره ما لم تتكشف، والحق ما قرره علماء السلف – رحمه الله – من وجوب إتباع ما هو عليه في رسم المصحف العثماني ، لا يغير مما كتبه كتبة الوحي **(رضوان الله عليهم)** فإنهم كانوا أكثر منا علما ، واصدق قلبا ولسانا ، وأعظم أمانة(٤)، فما رسموا حرفا إلا عن تثبت من الأمر فيه فهي مرسومة على قواعد مطردة ودقيقة عرفها من تدبرها بما يكتنفها من شتى الوجوب ، فخطه وجه من وجوه إعجازه وهو مما يجب التدبر فيه طويلا (٥).

ثم لا نطيل في الكلام ولكن قبل النهاية نقف ههنا سائلين مستهدين عن حذف الألف بعد واو الجماعة من قوله تعالى من سورة سبا ﴿ **وَالَّذِينَ سَعَوْ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ**﴾(٦) وهي ثابتة في سورة الحج من قوله ﴿ **وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ**﴾ (٧) فهل أن للعدد في القران سبيلا للتعليل ؟ فثبتت هنا وحذفت من هناك لتنتظم أعداد الألفات مع كل سورة ، وهذا ما لست بصدد البحث فيه .

---

(١) الآية ٣٥ سورة آل عمران .

(٢) الآية ٣٠ سورة يوسف .

(٣) الآية ١٠ سورة التحريم .

(٤) ينظر مفتاح السعادة ، تأليف احمد بن مصطفى طاش كوبري زادة ، ج١ ، ص٢٢٥ .

(٥) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ، لابن السيد البطليوسي ، ج١ ، ص ١٦٣ .

(٦) الآية ٥ .

(٧) الآية ٥١ .

ثم لماذا اتصلت (ما) في سورة الذاريات في قوله تعالى **﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾**(١) وقد انفصلت قياسا في سورة الانعام في قوله تعالى **﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لاتٍ﴾** (٢) ، والكلام نمطه واحد .

وقل في مثل هذا (أين ما) و (كل ما) الشرطية ونحوها ، ولعل أوسع باب طرقه العلماء هو فصل ما قياسه الوصل أو بالعكس ولعل من أدقهم نظرا من بنى حسب ما يكتنف الآية من معنى فيما يسبقها أو يلحقها (٣).

وهناك أسئلة عن مثلها كثيرة، ولو أن تتبعنا هذا المنهج وتدبرنا ما يكتنف الكلمة من سوابق ولواحق ومعان مقصودة محدودة ، لوصلنا إلى منهج أدق وأعمق .

هذا والذين كتبوا في رسم المصحف من المحدثين كثير (٤) وكنت انظر فيها أتلمس في مطوياتها ما فات أولئك الأقدمين متجاوزا الرأي المعار والقول المعاد وكنت أعلل النفس طويلا لعلي أجد مقارنة الأشباه لنظائرها ومن ورائها رأي صاحبها ثم ارجع أستأنس في مصنفات الأقدمين بل لعل ما كتبناه ههنا إنما هو إجابات عن بعض تلك السؤالات المطروحة ، وسيبقى من حماة كتاب الله من يتابع البحث فيكشف جوانب من أسرار رسمه ، وحسبنا أنا عرضنا جانبا مما أردنا عرضه للقارئين ، لنواصل البحث على ضوء رأي الناقدين .

.....والله الموفق للصواب ، وهو يهدي السبيل ....

---

(١) الآية ٥ .

(٢) الآية ١٣٤ .

(٣) ينظر : البرهان في علوم القران ، ج١ ، ص ٣٧٦ .

(٤) رسم المصحف . دراسة لغوية وتاريخية ، تأليف غانم قدوري الحمد .

The Influence of Voice on Word Drawing: A Causal Perspective in the Llight of Holy Quran

Prof.Dr. Abdul Wahab Mahmood Al Kuhla

Abstract

Much have been written about the Holy Quran drawing. While endeavors for revealing what governs this drawing are still in persistence, scholars pay great attention to its causation. As it is difficult to comprehend this subject as a whole, some problems have been studied in order to make them as a guidance for this study in accordance to what the scholars referred to in drawing the word which is not in accordance with the standard writing.